٢٤١ فاخذوا نساءهم واولادهم ودوابهم وكان جماعةٌ منهم ببلاد الدَّيلَم وانضمّوا الى ابن بختيار سنة ٣٩٠ . ثم انقطع ذكرهم من كتابهِ

هذا جلُّ ما جاء في كُتب التواريخ العربيَّة عن الزطّ وقد اكتفينا بما تقدَّم لان كلام الذين جاؤوا بعد هؤلاء المؤرّخين الكبار لا يُعدّ شيئًا . وهو بمعنى كلامهم

(التابع للقادم)

إزدهار الديانة الكاثوليكية في انكلترة

بقلم الاب يوسف جباره اليسوعي (تابع لما سبق)

واذا انتقلنا الى الهند تلك المستعمرة الانكليزيَّة الراسمة الاكناف الغزيرة المرافق وقابلنا عظمتها الحاضرة بما كانت عليهِ من الضآلة في بدء الجيل السالف لأَنينا بين الزمنين بونًا شاسعًا . ففي اوائل الجيل التاسع عشر لم يكن في بلاد الهند الأثلاثة اساقفة وزهاء ٣٠٠ مرسلٍ و٥٠٠,٠٠٠ كاثوليكيّ . وزدْ على ذلك انهُ لم يُنظر فيها عندئذٍ لا اكليروس وطنيّ ولا راهبات ولا مدارس . واماَّ الآن فترى فيها ٣٣ كرسيًّا اسقفيًّا و٨٠٠ كاهن اوربيّ و٦٥٠ كاهنًا هنديًّا و٢٠٠ اخ راهب (Frères) و٦٠٠ راهبة اوربيَّة و٢٠٠ هنديَّة و٧٠ مدرسة كبرى و٢,٢٠٠ مدرسة صغرى ينشاها ١٠٠,٠٠٠ طالب ومدرسة اكليريكيَّة تلامذتها ستَّة آلاف ثمَّ ٩٨ ميتمًا يأوي اليها ٥,٨٠٠ ولدٍ . والكاثوليكيُّون قد اربوا على المليونين . هـذا ما بلغتهُ من الشأو الديانة الكاثوليكيَّة في بلادٍ خفقت فوقها الراية الانكليزيَّة وهذا ما جرى ايضًا في كندا وفي كل بلدٍ اذاقتهُ الحريَّة الانكليزيَّة لذَّاتها (١

وكفى بالامثال السابقة دليلًا ساطعًا على ما آتى السيد المسيح كنيستهُ من السطوة العجيبة الالهيَّة في الانحاء الانكليزيَّة خاصةً . ولو حاولنا بيان حالة كل منها لضاق بنا المجال وكلَّ اليراع عجزًا فضلًا عن ان قصدنا في هذه المقالة البحث عن ازدهار الكثلكة في انكلترة دون سواها

(١ راجع Cardinal Moran: *Catholic Times*, 22 *Septemb.* 1899

فكأني ويد العناية بعد ان اختبرت بنار المحن فرند الكنيسة الكاثوليكة في انكلترة قد اعادتهُ الى غمده وقد بهر الابصارَ رونقهُ وفتن الالبابَ جوهرهُ. وكأني ويد العدل قد ضمّت واحدةً واحدةً تلك الفرائد التي سلبها الاصلاح فنظمتها عقدًا بديعًا وطوّقت به نحر كنيسة حاول الجحيم امتهانها وتسويد صفحة مجدها فبدت اليوم بمظاهر عزّها وعادت انهار الديانة الى مجاريها الاولى فكثرت كما قلنا الاهتداءات وانتشرت محاسن الحفلات الدينيّة وانتصبت الكنائس في كل صوب مبشرةً بتي الايمان بادراك الاماني وورود بريد الخلاص. وكفى للدين فخرًا تلك الكنيسة الشائقة التي قامت بالقرب من بناية وستمنستر الزائعة. فقد بلغ طولها خارجًا ٣٦٠ قدمًا وعرضها ١٨٠ وعلوّها الى قمّة ابراجها ٢٨٣ ونفقاتها الى اليوم أُحصيت فكانت نحو ٢٠٠,٠٠٠ جنيه انكليزيّة مع انّها لم تصل بعد الى حدّ الكمال ولم يضرب لانجازها زمان قريب المجال (انظر الصورة)

وكذلك الرتب الدينيّة ظهرت متحليّة بحلى عظمتها رائبتها وبرزت الكنائس من الديامس وقد تقدمتها الاعلام والرايات وابدت من آثار الايمان ومجالي التقوى ما لم ترهُ عين في بلاد كاثوليكيّة محضة. وحسبك لقولنا شاهدًا تلك الحفلة الرائعة التي اقامها الكاثوليكيون تذكارًا للجيل الثالث عشر لحلول القديس اغسطينوس رسولهم الاوّل في سواحل انكلترة. ومما اذهلت القلوبَ غرابتهُ واخرقت العقولَ عجائبهُ ان كثيرين من البروتستانت يشهدون اليوم هذه الحفلات التي كانت تُثير قديمًا دفين حقدهم يشهدونها وعليهم امارات الاحترام وعلامات الاجلال والاكرام. وهذا ما المع اليهِ اسقف لفربول الانكليكاني في خطبة اعرب فيها عمّا يخالجهُ من عوامل الحيرة والاسف لمّا هبطت حواجز العداوة التي شيّدها الاصلاح فاصلةً بين ذريتهِ وذريّة كنيسة رومية. واذ اندفع في الكلام ثار ثائره لاهمال قومهِ تساهلًا « بركة الاصلاح العظمى » وما سنّتهُ الدولة سابقًا من الشرائع المضادة للتعاليم الرومانيّة . . . »

لعمري يحقّ لهُ التقلّب على جمرة الغضا ويجدر بهِ فضّ الدمع حرقةً واسى حيث كل فاصل قائم بين الكاثوليكيين وسائر افراد الامة الانكليزيّة قد هدمتهُ وقوّضتهُ سنن العدل والاستقامة فامتزج المتنافران طبعًا امتزاج الماء بالراح والتأم الحزبان التئام الاجساد بالارواح. فاضحى البابوي انكليزيًا كالانكليزي البروتستانتي نفسهِ يخالطهُ في الاندية

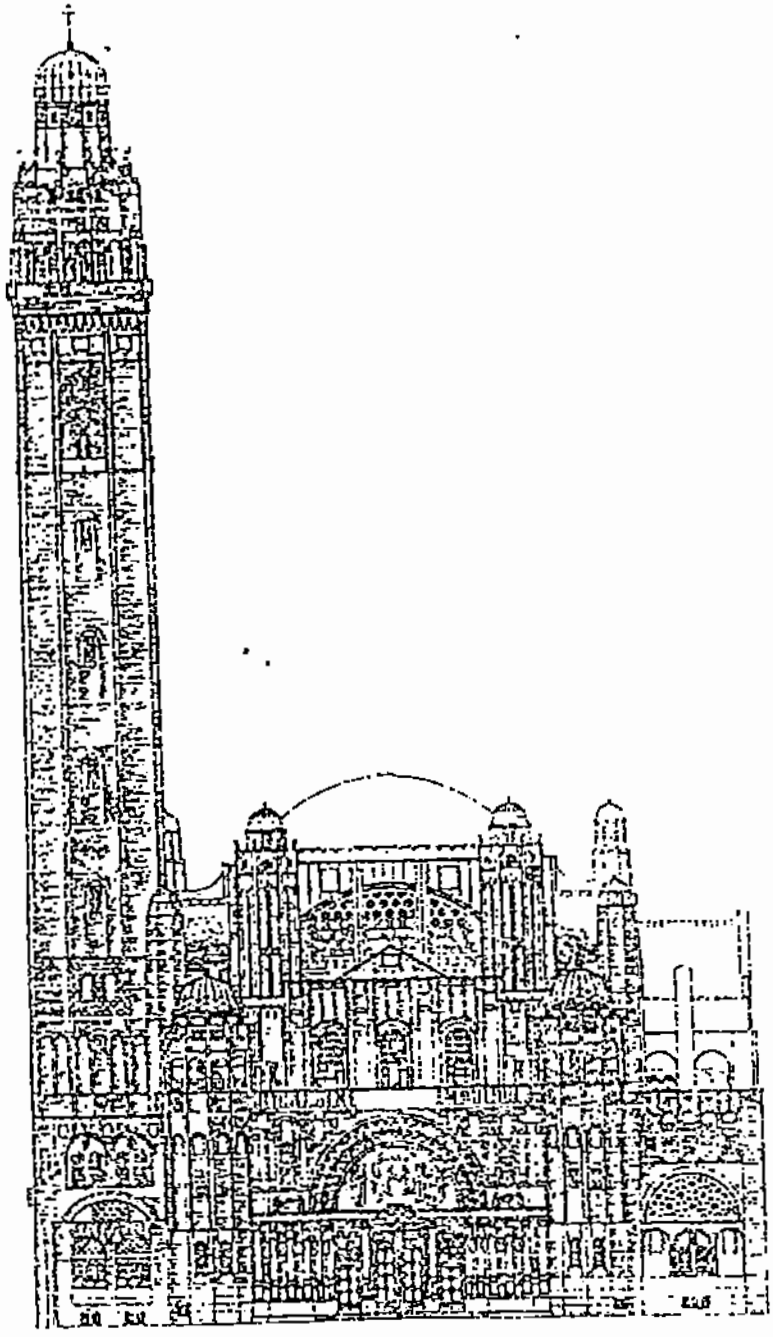

كنيسة وستمنستر الكاتدرائيّة لكاثوليك الانكليز

العلميَّة والادبيَّة ويجاريه في مضمار الرتب والمناصب الوطنيَّة حتى لم تتجاوز هيئتهُ الَّا مقاماتٌ فلانل حُتِّم على اصحابها باتباع المذهب البروتستاني . . .

وماذا اقول في اكسفورد تلك الكليَّة القديمة العهد التي طبَّق ذكرها الآفاق وطوَّقت بافضالها الاعناق فانَّها قد فتحت بعد كرور ثلاثة اجيال رحب ابوابها للطلبة الكاثوليكيين فاخذوا يتقاطرون اليها زرافاتٍ ووحداناً لاجتناء داني قطوفها حتى الرهبان انفسهم حلُّوا فيها على الرمة والترحاب فللبسوعيين والبنديكتيين في اكسفورد معهد خاصٌ تُنثَر فيهِ درر الآداب وليعض الكهنة محطُّ رحل في كليَّة كبريدج الشهيرة بعلومها الرياضية

وكل من يزكن ما تخوَّلهُ من النفوذ العقلي والادبي مزاولة الدروس في تينك الكليَّتين العظيمتين يوقن ان امرًا كهذا يترتَّب عليهِ فوائد عميمة فريدة . فبهذا التقرب تذلُّ كل العقبات الحائلة بين الكاثوليكيين والبروتستانت وباحتكاك العقول واصطكاك الخواطر لا يني بروز النور فتتجلي رويدًا رويدًا حنادس الريب والخصام وتتلألأ في سماء الاذهان كواكب الثقة والوئام

ولا يذهب معترض الى ان الكنيسة الكاثوليكية نفسها لم تُصب في اعين الانكليز حظوة وافرة فان رؤساءها الروحيين بعد ما كانوا نسيًا منسيًا بل هدفًا لكلِّ السهام اصبحوا اليوم مكرَّمين مقرَّبين . أوَ لم ترَ نيافة الكردينال مانين وخلفهُ الكردينال ڤون منتدَبَيْن الى الجلوس بقربة من الاساقفة الانكليكانيين في الحفلات الرسميَّة والمنتديات السياسيَّة ؟ وما احرزهُ بعض ابناء الكثلكة في انكلترة من الاعتبار والتجلة لقد كان عجيباً في بابهِ . فالكل قد احاطوا علمًا بما كان لذينك الكردينالين نيومن ومانين من علو المنزلة في اعين معاصريهما على اختلاف مشاربهم ونحلهم حتى كانت لجنازتهما حفلة اشتركت فيها الأُمة الانكليزيَّة باسرها ونُعيت رسومهما في كل شرَفٍ من مدارس اوريول وباليول وأُقيم ما خلا ذلك لنيومن تمثالٌ في لندن امام كنيسة الاوراتوريين

ومن اراد شاهدًا صدقًا ودليلًا ثبتًا يُسفر عمَّا ادركتهُ الكثلكة من الرقعة والتأييد في الاصقاع الانكليزيَّة فعليهِ بمطالعة ما كتبهُ احد الصحافيين المسيو جمبيه (Gambier) الابروتستاني في هذا الصدد الذي يحثنا ايضاحه

قال رعاه الله: « لا يوجد بلد تحت القبة الزرقاء اتسع فيه نطاق السلطة البابوية اتساعهُ في انكلترة. فاذا امعنا الفكر في تاريخ الاجيال السالفة لرأينا بأية سرعة انتقلنا نحن معاشر الابروتستانت من البغض الشديد الى التساهل ثم الى المصافاة لمن قاومنا ديانتهم. هذا في الامور السياسية واما في سبيل الآداب فقد كان التغيير اعظم وابلغ ففي اكسفورد وكمبريدج وبالعموم في المغاني الزاهرة بالعلوم دونك ما كانت عليه حالة الافكار في أبان الثلاثين السنة الخالية. ففي البدء شمل العقل كلَّ المسائل العلمية حتى الدينية رغبةً في الوقوف على اسرارها ثم تسلَّط على النفوس كفرٌ هائل همَّ بابادة العلة الاولى ابادةً فانقرضت دولتهُ عاجلًا ولم يلقح الَّا شرًّا. وخلفهُ مذهب الارتياب واللاأدريَّة وقد انكر للعقل وسائل تمكنهِ من ادراك ما تخطَّى مُلك الحواسّ وما عتم ان غاب عن العيون عينه واثره فبويع لمذهب آخر قال اصحابه بوجوب تلك المعرفة ووجوب اتباعها ولكنهم احجموا عنها لعجزهم عن تحصيلها. وفي الختام برز عهد جديد فظهر رجال ذوو قوة ومراس ابتروا اتيانهم ورجاءهم ببلوغ الغبطة السرمديَّة وطلبوا من يمهد لهم اليها سبيلًا فاصبح كثيرون يؤمنون بالحياة الاخرى ويتَّخذون الوسائط الناجعة لقضاء بغيتهم فتقرَّبوا من جزاء ذلك الى رومية وتعاليمها

« أنَّنا وايم الحق لجاهلون عظم امتداد الكثلكة وسرعتها المتفاوتة الحدّ في بلادنا فقد شمَّر عن ساعد الجدّ لنشرها كهنةٌ ذوو غيرة ناهضة يؤازرهم رجال عاليون في مشروعهم الاثير بهمَّة لا تني البتة ولا تثنيها عتبة. اما علائق الكرسي الرسولي فهي سلميَّة عموماً ودليل ذلك تلك الرسالة العامة التي اصدرها لاون الثالث عشر للشعب الانكليزي. (« ad Anglos » ١٤ نيسان ١٨٩٥) فما عدا الاسطر الاخيرة التي اودعها كتابه طالبًا بها الاستحرار بالصلاة والالتجاء الى البتول الطاهرة لإلحام سدى ديانة الامة الانكليزيَّة فالباقي لا يأنف من قراءته واستحسانهِ خدمة الابروتستانت الروحيون اعينهم

« ولكنَّ الخبر الاعظم اتى عملًا آخر لا اضنُّ بذكره. فقد اجاز منذ امدٍ غير بعيد للشبان الكاثوليك ان ينخرطوا في سلك طلبة كليتي اكسفورد وكمبريدج. فهذا الالتحام من شأنه ان يدرَّ على الكنيسة الكاثوليكيَّة خيرات وافرة هامرة. ومتى نستنتج ان قداسته لعالمةٌ حقّ العلم بما يجري بين ظهرانينا

« ودونك باختصار اهمّ الاسباب التي تسنّى للكثلكة في انكلترة بتوسيع نطاقها وتعميم تعاليمها: سعي ارلندة المتواصل وراء ضالّتها ألا وهو الامتياز بسياسة شؤونها الداخليّة بدون وسيط ولا معارض (Home-rule) — وَعْدُ الحكومة بتشييد كليّة كاثوليكيّة في دوبلين تتكفّل بدفع نفقاتها — تبدُّد شمل الكنيسة الانكليكانيّة تحت كلّ كوكب — دروس معالم كل ساطة كنسيّة على إثر ابطال الكراسيّ المخصّصة بالاساقفة الانكليكانيين في مجلس الامراء — اقامة اعضاء عالميين بدلًا من الروحيين في ادارة الجمعيّات الخيريّة المختلفة — واخيرًا عدم ارضاع شبّاننا افاويق العلوم الدينيّة التي تمكّنهم من مجاراة الكاثوليكيين في حلبة الجدال والفرار من شباك تعاليمهم. وزد على ذلك كلّه خطّة سياسيّة متباينة جعلت مذاهبنا المتعدّدة محورًا تدور عليه مطامع كل حزب

« هذا ما سمح للكنيسة الرومانيّة باحراز ما احرزتهُ من التقدّم الباهر ولا يمضي زمن طويل الّا ونرى لا محالة في انكلترة عنصرًا كاثوليكيًّا تبدو اهميّتهُ لكل ذي نبرة وحينئذٍ ما من احدٍ يستطيع ان يمنع ارباب من استلام مقاليد السلطة العليا (١)» انتهى كلام جامبيه

فمن افواه الابروتستانت انفسهم قد التقطنا حقيقةً يجلُّ قدرها كل ذي فكر. ولا نظنّ مطلقًا ان في كلام الكاتب المذكور غلوًّا او شططًا. فقبلهُ ببضع سنين كان الكردينال ڤون قد وفى هذه الحركة حقّها من الوصف وذلك في المجتمع القرباني الذي عُقد في انڤرس (بلجيكا) سنة ١٨٩٠ فقال:

« ان انكلترة تسرع موسعة الخُطى الى سهول الكنيسة الكاثوليكيّة الخصبة. فان خدمة الدين الانكليكاني والأسر الشريفة وكبار متوظفي بلادنا قد لبّوا داعي الايمان الحقيقي. ولا تخلو الآن عائلة شريفة من عضو اهتدى فتشرّب حبّ ديانتنا. والحكومة ذاتها قد اظهرت ارتياحها لنا وثقتها بجدارتنا اذ سوّغت لنا تولّي مهامّ الامور السياسية وتقلّد المناصب السامية بعد ان حظرتها علينا سنين كثيرة... والآن وان لم تمكّننا ذات يدنا من مناصبة الابروتستانيّة مناصبةً تقرّب لنا اجتناء اكليل الظفر

(١ (Y. W, Gambiers : *La situation présente et les vistes de la Papauté*

فاننا مع ذلك لنرغون جهدنا (والاتكال على الله حليفُنا) في بثّ بشارة الانجيل موقنين ان انكلترة تصبح كاثوليكية في خلال جيل (١ »

وفي رسالة حديثة سطَّرها الكردينال عينهُ الى حضرة الاب راجي الفاضل جاء ما يلي: « ان انكلترة قد اهتدت نصفها. ولايضاح فكري هذا اقول: ان العقول قد قطعت نصف المرحلة التي تفصلها عن الوحدة الكاثوليكيَّة. فلنا رجاء عظيم ان الاهتداءات ستتكاثر عددًا في كل الشيع الابروتستانيَّة ولاسيَّما في طبقات الكنيسة العليا فيما بين الريتواليست اي الطقسيين (٢ »

وقد درّ الكردينال مانين حيث قال: « ان الكنيسة الانكليكانيَّة ليست حتمًا بشيء ما لم تصبح كاثوليكية وتقرّ بجوهر العقائد الرومانيَّة. وهذا ما رسخ في العقول السامية أثرهُ فأيدهُ بارائهم السديدة بعض زعماء الاكليروس الانكليكاني... وما نراهُ من مشاهد التقوى وعلامات المحبة والموالاة بينهم قد غرس في قلوبنا الامل برجوعهم الى الكنيسة الحقيقية... (٣ »

واردف كلامهُ بقولهِ: « حقًّا انهُ لم ينشأ منذ الاصلاخ وليس في هذا الامر ادنى ريب ميلٌ في الكنيسة الانكليكانية الى كنيستنا كالذي نراه في زماننا هذا. فان قلوب انكلترة قد تغيَّرت بنوع ما والانهار التي كانت تجري شمالًا اخذت تنصبُّ جنوبًا »

وقد لاحت بوارق هذه البشرى لمدير جريدة مُنث (الشهر) الانكليزيَّة فبثَّها قرَّاءهُ بقولهِ: « ان اعظم حاجز يحول دون دخول انفس عديدة الى حظيرة الكنيسة انَّما هي الكنيسة الرسميَّة الملكيَّة. بيد ان هذا الحاجز قد ضعفت قواعده وتضعضعت دعائمه فكاد جرفهُ ينهار على مرأى ومن رضى الانكليكانيين انفسهم (٤... وقد خاض

— cf L'abbé de Madaune: *la ren. du cathol. en Angleterre*, page 639 etc.

(١ راجع ايضًا Bossuet: *Variations, liv. VII*

(٢ راجع C. Vaughan: *Lettre au R. P. Ragey* (Avenir de l'Angleterre) page XXVI

(٣ Manning: *England and Christendom*, Introduct., page XLII

(٤ راجع cf. Thureau d'Angin, ibidem 51, 52, 53.

اصحابه غير مرَّةٍ في وجوب فصل الكنيسة عن المُلك اسّ هذا الحاجز وركنه (le désétablissement) وهذا الخاطر وان لم يبكُ الّا فطيرًا فلا يبعد ان يُتمّ نضجهُ. فعندئذٍ يهوى عن حالق صَرْحُ الكنيسة الانكليكانيَّة وتتناثر موادُّهُ وتنحلّ عناصرهُ. فيتقاطر كثيرون ممَّن لاذوا بجناه الى تلك الصفاة السريَّة الخالدة التي اسّس عليها السيد المسيح كنيستهُ (١ »

وقد ذهب مذهبهُ وارتأى رأيهُ الكردينال فون في رسالته السابقة الى حضرة الاب راجي فاثبت « ان جوهر الاصلاح المرهوم قد عرتهُ دودة الفساد فاخذت تعاليمهُ تنحلّ في العصور كله. وان رأيت الانكليز مصرّين على مبادئهم اللوثرانيَّة فهذا القلق ليس بصادر عن ادراك تامّ وبرهان واضح بل غالبًا عن اهواء شخصيَّة وتقاليد وطنيَّة شيعيَّة. على ان كل من اكتحل بالمدّ العقل والعلم يشهد ان العالم الديني ينقسم الى شطرين: الكثلكة او عبادة الله بالقلب والروح ثم عبادة العقل. وسيمدّد نور الجيل التابع كل ديانة توسطت بينهما. . . » ومنها ايضًا اقتطفنا ما يأتي: « ان فشل التعاليم الابروتستانية وعدم رواج بضاعتها هو للكاثوليكيين سبب رجاء وطيد. فان النفس البشريَّة هي بالطبع مسيحيَّة ميَّالة بنوع جليّ الى الكنيسة المقدَّسة » (ستأتي البقيَّة)

كتاب النَّخل والكَرْم للاصمعيّ

سعى بنشره وتعليق حواشيه الدكتور اوغست هفنر

مقدّمة

يذكر قرّاؤنا انَّ الدكتور اوغست هفنر نزيل كلّيتنا قبل ثلاث سنوات كان مغرمًا بآثار العلّامة اللغويّ ابي سعيد الشهير بالاصمعيّ فنشر منها في المشرق (١ : ٢٤ و ٤٠٦ الخ) كتاب الدارات وكتاب النبات والشجر. وبينما كان يقلّب مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة وقع نظرهُ على كتاب كنّا استنسخناهُ في دمشق الفيحاء عن نسخة مصونة في خزانة كتب الملك الظاهر وهو كتاب الجراثيم لابن قتيبة فوجد بين فصوله كتاب النَّخل والكرم للاصمعيّ فاحبَّ ان ينشرهُ مع تعليق بعض شروح لغويَّة عليه نقلًا عن معجمات الدرب لاسيَّما اللسان. وحقّ الآن لم تسمح لنا كثرة المواد بنشر هذا الاثر الجليل في المشرق. فنرقّهُ الى قرّائنا في اوان الرُّطَب والعنب بعد ان قابلناهُ

(١ راجع (The Month, *May* 1892 p. 42)